

## مراجعات

## شعراؤنا والناقد العبقري ..

## للأستاذ دريني خشبة

لن أنور كما تبار الدكتور مندور يا حضرات القراء ، ولن أسمح لأعصابي أن تتمزق على هذه الصورة المضحكة التي تعرض صاحبها لرتاه قرائه وطلبهم المغفرة له ، وذلك لأنني دعوت الأدباء في مصر أن يضبطوا عواطفهم - في الصيف - وما كنت أظنهم يهملون صمامها ونحن على أبواب الشتاء

وقد قدح الدكتور مندور فينا بالذي قدح ، غير أننا نثني عليه بما هو له أهل من أكرم الثناء ... فقد سعدنا بصداقته قريباً ، ودافعنا عن رجولته التي غمزها صديقنا الكاتب المعروف الذي أغضبنا منا هذا الدافع ، وعزاه إلى خصومة قديمة توهمها بيتنا وبينه ، مع أننا أزهدهم الناس في الخصومات الأدبية وأحوجهم إلى مموتة الأدباء بصدد الدعوة التي ندعو إليها

نثني على الدكتور مندور فنقرر أنه أعلم منا بالموضوع الذي لرتاه له ووجد فرصته فيه ، فانطلق يكتب هذه الفصول القيمة التي سنقرؤها وحدنا - أو مع خمسة أو عشرة على الأكثر من حضرات القراء الذين يمنيهم هذا الموضوع

الدكتور مندور يا حضرات القراء أعلم منا في موضوع أوزان الشعر الأوربي لأنها من ضمن ما تخصص حضرته فيه ، ونال عليه الدرجات العلمية العلى ، فهو إذا تكلم فيها ، تكلم عن علم وبصيرة وخبرة

لكننا مع هذا لا نرى أن يمنعنا أحد من التكلم في أي موضوع نشاء ، إلا في الطب والهندسة والصيدلة والكيمياء ، وما إلى ذلك من الموضوعات التي لا تصلها بالأدب صلة ، فهل أعاريض الشعر من هذا القبيل ؟

سيقول الدكتور مندور ، أجل ، هي من هذا القبيل ، بدليل أنك تكلمت في طرف ضئيل منها ومع ذلك فقد (أخطأت وأرهمت وتوهمت وضللت وضللت وموهت ولم تتجر الدقة بل ترديت في الخطأ البين في أبحاثك التي تحسدها ...) إلى آخر هذه المجموعة الوافية من العبارات الشافية الكافية التي أسبغها علينا

الدكتور الصديق محمد مندور ، الذي كنا تتمنى أن نراه وهو يكتب هذا الفصل المنفعل الصاحب الطريف الذي صبَّ حممه فوق رأسنا !

وقبل أن نداعب أخانا مندور بما هو له أهل من الداعبة ، وقبل أن نكشف الغطاء عما هاجه علينا وأحفظ صدره منا ، نتناول تجهيلاتة التي جهلنا بها ، فترى كيف أوقمتنا المقادير في ظلماتها حتى أعمتنا - والعياذ بالله - هذا العمى المطلق الذي لم تره غير عين صديقنا العزيز

عندما قلنا إن أساس العروض الأوربي هو التفعيلة لا البحر فهم حضرة صديقنا المروضي المحترم أننا ننكر وجود البحور في الأعراب الأوربية وعلى هذا بني بحوثه القيمة ، مع أننا ذكرنا كثيراً من هذه البحور في الحاشية التي أثبتناها في ذيل مقالنا وقلنا إن هذه التفعيلة هي أساس البحر (الفلائي ١) ومن هذه التفعيلة ومن تلك يتكون البحر (الفلائي) ، وإنما قصدنا بأن التفعيلة هي أساس العروض الأوربي أن الشعراء هناك أكثر حرية في استخدام هذه التفاعيل فلا يتقيدون بمددها في السطر (أو البيت) كما يتقيد شعراؤنا هذا التقيد الذي عبناه عليهم ولا تزال نسيبه عليهم . فجرد (توهم) أننا ننكر وجود هذه البحور هو دليل الأعصاب المزقة والموجدة التي تأكل قلب الصديق الحميم علينا للسبب الذي سنبينه بعد أن ترد ترهاته كلها . والمقال موجود أيها القراء بالرسالة (العدد ٥٣٨) ، فقوله إذن إن كلامنا لا معنى له مطلقاً هو كلام يشبه الهوس ، ونحن مع ذلك نمذره لأن معرفتنا بالدافع الذي أطلق لسانه فينا يفقد العقلاء عقولهم . وقد منعنا من تناول هذه البحور بالشرح الذي شمر له صديقنا الحميم عن ساعد الجد ما قلناه في صلب المقال من (أنه ربما لا يسر القارى) ، بل ربما يضايقه جد المضايقة أن نخوض به في شيء من معميات العروض الإنجليزية) ... وربما أوهمه اقتضابنا هذا لذلك السبب أننا (إنما توهم وتوهم أننا نعرف شيئاً ...) إلى آخر هذا السقف الذي نمر به كراماً لأن صديقنا الحميم قاله في ساعة من ساعات الانفعال الذي سنذكر سببه كما قلنا

وبعيب علينا السيد مندور أننا قرأنا المعلومات التي سقناها في كتيب من كتيبات العروض ثم استعنا في شرحها بالقاموس ؛ وهذا ، لو أنه حصل ، لا يضيرنا قط ، ولكنه يضير الصديق

مندور الذي نال درجاته العلمية في هذا العلم ؟ أين المخطئ . أيها القراء ؟ أنا أم قاموس القرن العشرين ، أم الدكتور مندور الذي تخصص في أعاريض الشعر قديمها وحديثها ؟ على أننا نرجع إلى لاروس - قاموس الفرنسي المحترم - لنرى ماذا يقول هو الآخر : فهو بعد أن جاء بالرواية التي ذكرها السيد مندور ، ويضيف إليها أنه يتركب من اثني عشر مقطعا كما ذكرنا نحن وأنكره الأخ العزيز المتخصص في أعاريض الشعر ، يقول :

C'est le vers heroique, le vers de l'épopée, de la tragedie, des grands poèmes.

فأين الخطأ البين الذي وقعنا فيه يا عالم ؟ لعل الأخ مندور - المتخصص في الأعاريض بأنواعها - أخذ علينا نسبة هذا البحر إلى الإسكندر من القصائد التي نظمت فيه من هذا البحر وعدم نسبتها بالذات إلى آل Roman d'Alexandre ؛ فاسموا يا أصدقائي القراء - وأنا في حاجة إلى تعلقكم بهذه النداءات الطريفة - ما تقوله دائرة المعارف البريطانية عن هذا البحر ، فهي بعد أن تذكر أنه هو البحر الرئيسي في الشعر الفرنسي ، وأنه يستعمل عادة في الشعر القصصي والمأسوي والملاحم الرفيعة ، تقول عن أصل تسميته :

There is some doubt as to the origin of the name, but most probably it is derived from a collection of romances published early in the 13<sup>th</sup> century of which Alexander of Macedon was the hero.

ومعنى هذا : أنه يوجد بمض الشك بالنسبة إلى منشأ اسم هذا البحر إلا أن أكثرها احتمالا أنه مشتق من مجموعة من الروايات الشعرية ذاعت إبان القرن الثالث عشر ، وكان الإسكندر المقدوني بطلها .

فأرأى الأستاذ مندور في هذا الهديان الذي لفت به دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تصنيفها ساداتنا جميعا من علماء الأمة الإنجليزية ، والذين هم بلا شك أساتذتك وأساتذتي في العروض وفي العلم وفي الأدب وفي ضبط الأعصاب أيضا ؛ إنهم لم يقصروا تسمية هذا البحر كما فعلت أيها المتخصص في الأعاريض الأوربية التي ذكرت والتي ذكرها لاروس ، بل قالوا كما قلنا - نحن القراء إلى الله الذين لم نتخصص في هذا العلم ، لأنه ، وحياتة ذنك ، لا يحتاج إلى هذا التخصص أبدا ، قالوا إن ثمة شكاً في

الحميم كثيراً ، لأنه يدل على أنه كان فاقداً لتوازنه وهو يكتب هذا الهذر ، إذ كيف يقرأ الإنسان في كتاب من كتب العروض ، ثم يحتاج إلى قاموس مع أن كتب العروض الإنجليزية لا تترك صغيرة ولا كبيرة إلا تناولتها بالشرح . . . على أنني لم أفهم لماذا يعيب السيد مندور الرجوع إلى قاموس أو الاعتماد عليه في شرح كلمة من الكلمات ؟ هل ذلك لأن المعلومات التي في تلك القواميس تكون خطأ عادة ؟ وكيف يا أخي يصح هذا ؟ وكيف يأسيد العروضيين تغفل إنجلترا ويفعل الإنجليز عن هذا الخطر الذي جاء السيد مندور ليكتشفه لهم صبيحة يوم الأحد في السابع من نوفمبر سنة ١٩٤٣ ؟! تالله لقد نهيتني إلى ( قفشة ) أفضتها لك ، فقد أحسست من ثنايا كلماتك أنك رجعت إلى تلك القواميس كما لم يفعل السيد الفقير إلى الله ، لتتظر في معنى بمض تلك ( المميات ) كما سميتها أنا رفقا بالقراء ، فلما وجدت القواميس تنصر حق على باطلك ، وتواضى على ادعائك العريض ، هجرت فأردت توهين هذه الحجة التي أقذف الآن بها عليك لتدمتك ، بالرغم من درجاتك العلمية الجامعية التي لا أنكرها قط ، ولا أقدر فيها قط

إسمع يا صديقي الحميم ما جاء في قاموس القرن العشرين في مادة

: Alexandrine

A rhyming verse of twelve syllables, six iambic feet, so called from its use in old French poems on Alexander the Great. It is the ordinary verse of French tragedy.

ومعنى هذا اللفظ ( في نظر الأخ مندور ) أنه بحر ( من بحور النظم ) يتركب من اثني عشر مقطعا ، ست تفعيلات إيامبية ، وقد سمي كذلك من أجل ما استعمل فيه في القصائد الفرنسية القديمة ، عن الإسكندر الأكبر وهو البحر الشائع في المأساة الفرنسية

فهل قلنا نحن غير ذلك يا سيد مندور ؟ إليكم ما قلناه أيها القراء ، مما نقله الدكتور الفاضل بقلمه عن مقالنا : « ويفضل بعض الشعراء البحر الأسكندري ، نسبة إلى الإسكندر الأكبر والقصائد التي نظمت فيه من هذا البحر . ويؤثر شعراء المأساة الفرنسيون النظم من هذا البحر إطلاقا ، وهو يتكون من اثني عشر مقطعا ( ست تفعيلات إيامبية X مقطعين )

فأبنا الذي لم يتحرر الدقة ووقع في الخطأ البين كما قال الدكتور

ذلك كان يسرني ويشرفني

ولكن السألة أن الدكتور مندور يدأب منذ طويل في

الطعن على شعرائنا المصريين بدون استثناء وتجريحهم ، والخط

من شأنهم ، بل في تجريدهم من شاعريتهم ، وتفصيل شعراء

المهـاجـر عليهم ، أولئك الشعراء الذين نجحهم ونجحهم ونعرف

لهم فضلهم ومعارنتهم في نهضتنا العربية الأدبية الكبرى ...

لكن أحداً لم يذهب إلى تفضيل هؤلاء الشعراء الأفاضل عامة

على شعرائنا عامة غير الدكتور مندور ، وهو يستشهد في هذه

الدعوى بقطع تدل على مبلغ تدوقه للشعر ، ومدى مقدرته على

الموازنة بين الشعراء . وقد غضبنا لهذه الخطة الجائرة ، لا تمصباً

أعمى لشعرائنا ، وإن يكن التعصب البصير دينا لهم في أعناق

الكتاب المصريين جميعاً ، ولكن لأن الدكتور قد جاوز حد

الدعابة إلى حد الجد ، وأقول حد الدعابة ، لأنني حسبته إنما

يداعب شعراءنا أول الأمر ، ولأن الموازنات التي ذهب إليها

كانت كثيراً ما تنفي النفس وتقبض القلب ، وتعمد النقص من

أقدار الشعراء المصريين تعمداً باطلاً تبلغ حد الخطورة على سمعة

الأدب المصري والشعر المصري ، الذي هو مع ضيق آفاقه التي

نشكو منها دائماً ، ألح مظهر من مظاهر هذا الأدب

ففي مقالنا عن - تجديد الأدب العربي - بالمدد ( ٥٣٥ )

من الرسالة ، كتبنا كلمات ثناء على شعرائنا الشيوخ نفي بها

ما كان يحتمل أن يفهم من أننا نقصر الرجاء على شعرائنا الشباب

في القيام بتجديد الشعر العربي شكلاً وموضوعاً ، فلما بلغنا

الكلام عن الأستاذ العقاد قلنا إنما كنا نضع فيه أملنا للتموض

بأعباء تلك الثورة ، لكن أملنا هذا - خاب - بهذا التعبير ،

حتى لا يظن أحد أننا إنما نحتمي بأحد في ردنا على صديقنا

مندور ... وذلك لأن العقاد آثر أن يسلك الطريق القديمة

للشعر العربي شكلاً وموضوعاً ... ولكننا قلنا قبل هذا

في المقال نفسه ... « أما العقاد العظيم فهو شاعر المعاني غير

مدافع ، والذين زعموا أنه لا شأن له بالشعر هم قوم قليلو البصر

بالشعر ، بل ربما كان الأحسن ألا يكون لهم هم شأن بالشعر ،

ولو أن العقاد كان يعني بدبياجته وتجويد أسلوبه الشعري لجر

أمامه أولئك النقاد جيئاً ... »

هذا ما قلناه نشبته هنا لأنه هو الذي أحفظ علينا الأستاذ

مندور وذلك لأنه هو قائل تلك القولة الجريئة التي تدل على قيمة

أصل هذه التسمية ، وإن أكثر الروايات احتمالاً نسبتها إلى

الـ Romances التي نظمت في الإسكندر المقدوني

فأين إذن عدم اللغة ، وأين إذن هذا الخطأ الحس الذي

تردينا فيه ، وأين هو التوم والإيهام والضلال والمضليل ،

وما تخيله من أننا نعرف شيئاً ونحن لا نعرف شيئاً قط ؟ !

عفا الله عن مستر هايد الذي كان يلقى عليك هذه الوقايات

يا دكتور جيكل ، في ساعة من ساعات عدم الوعي التي يذكر

إخوانك أنها كانت تنتاب جيكل المسكين كلما طار أحد أبراج

عقله الجبار ...

أما تعبيرى عن المقاطع بالطول والقصر وأنه لا ينطبق

( بسهولة ) على العروض الإنجليزية فقد آثرته ليفهمه الشعراء

الذين أكتب لهم ممن درسوا أعاريض الشعر العربي ولم يلحوا

بلغة أجنبية ، وسأجيبك تطير من الفرج حيناً أنقل لك هنا

تفسير أحد القواميس التي لا يمجك النقل عنها لإحدى

التفصيلات ، كي تقول لقرائك . ألم أقل لكم إن جل اعتمادها على

القواميس !

إسمع ما يقوله قاموس القرن العشرين في تفميلة Amphibrach

A foot of three syllables — a short, a long a short

أى :

an accented syllable between two unaccented.

فهل قلت أنا غير هذا الذي قاله هذا القاموس الجاهل أو

دائرة المعارف التي ليس عندها علم السيد مندور ؟ ولقد ضربت

لذلك مثلاً لاحظت فيه أن يشمل الارتكاز stress الذي نبه إليه

حضرة الناقد اللودمي فقلت مثل : ( رَيْحَانِيَّة ) ، ولاحظت

وجود الارتكاز في كل ما ضربت من أمثلة عربية

وبعد . فإذا بقي مما جهلنا به السيد مندور لم ترد عليه ؟

وبعد أيضاً ... فإذا يقول القراء في سائر الآفاق عن هذه

اللجة التي ينحط إليها أدب المناظرة في مصر ؟

وبعد . وبعد ؟ فما سبب هذا الموقف الذي يقفه منا فجأة

هذا الدكتور مندور ؟

اسمعوا إذن يا حضرات القراء

ليس صحيحاً أنه يقف هذا الموقف لأنني دافعت عن رجولته

التي غمزها هو نفسه بالذي غمزها به صديقنا الكاتب المبرور ،

كما يتفكك أصدقاؤه وأصدقاؤى في القاهرة ... وليس صحيحاً أننا

نقسم فيما بيننا تركه ، فالدكتور ليس من أقربائى ، وإن كان